حياة رغم الحرب
أمل رغم الفقد

أنا من ريف حلب، لكني وُلدت ونشأت في حي من أحياء حلب، وهو المكان الذي أحبه وأشعر بأنه جزء من روحي.

كانت حياتي جميلة وبسيطة قبل الحرب، لم أكن شخصاً مهماً أو مميزاً، بل مجرد إنسان يعيش حياة هادئة مع عائلته، كنا نعيش في جو عائلي دافئ، خاصة قبل وفاة أمي، رحمها الله.

حين اندلعت الحرب، كنت لا أزال أتذكر تلك الأيام الجميلة التي عشناها، فقد كانت المدرسة آنذاك مميزة، والتعليم مجاني، وكنا نعيش طفولة سعيدة تختلف كثيراً عما يعيشه الأطفال اليوم. كان لدي صديقان مقربان، لكن للأسف، استشهد كلاهما في الحرب.

قبل الحرب، كنا نسكن في بيت بالإيجار، وكان صغيراً لا يتسع لنا جميعاً. لاحقاً، قررنا شراء بيت عن طريق البنك بالتقسيط، فبدأنا نعمل جميعاً، أنا ووالدي ووالدتي، حيث كانت تساعدنا بالعمل من المنزل حتى تمكنا أخيراً من تسديد كامل ثمن البيت. لكن بمجرد أن انتهينا من دفعه، اندلعت الحرب، وكأن الراحة لم تكن مكتوبة لنا.

حياتي لم تكن حياة طفل عادي، بل كانت أشبه بحياة رجل صغير. كنت أشعر أنني أعيش في عالم الكبار، حديثهم مختلف، اهتماماتهم مختلفة، وكان علي أن أتحمل مسؤولية تفوق عمري بكثير. عندما أنظر إلى حالي اليوم، أجد أنني أفعل الشيء نفسه مع أطفالي، فأنا أخرج للعمل من الصباح حتى المساء، كل ذلك من أجل الأولاد ومن أجل البيت.

في سن 14 عامًا، كنت أعمل وظيفتين يوميًا، كنت أستيقظ في الخامسة صباحاً، وأعمل لمدة ساعة ونصف أو ساعتين في أي عمل متاح، ثم أعود لأعطي أمي بعض المال، قبل أن أنطلق إلى عملي الأساسي. والدي بمفرده لم يكن يستطيع إعالتنا جميعاً، لذا لم أعش طفولة عادية، بل كنت أعيش مثل رجل مسؤول عن عائلة.

أمي كانت امرأة قوية، ابنة قرية تتحمل المصاعب، حتى عندما اعتُقلت، لم تستسلم، بل استأجرت بيتاً في السلمية، كانت تريد أن تكون قريبة مني بأي طريقة، كنت أكبر أبنائها، وكنت أعلم كم تعبت من أجلنا، استأجرت غرفة صغيرة هناك مع أخي، فقط لتبقى قريبة من الفرع الأمني الذي كنت فيه، حتى إذا تم نقلي إلى فرع آخر، تتمكن من اللحاق بي وتعرف إلى أين أخذوني، حتى لا أغيب عنها دون أثر.

عندما كنت في الأشرفية، سقطت قذيفة وأصبت في صدري وساقي، وما زالت هناك شظية في ساقي حتى اليوم، اختبأت ولم أسمح لأحد بإسعافي، ليس خوفاً على نفسي، بل خوفاً على أمي، كنت أعلم أنها لو سمعت الخبر، ربما تموت من الصدمة، فبقيت في زاوية، أنتظر حتى هدأت الفوضى، ثم ركضت إليها لأخبرها أنني بخير، لم أكن أشعر بالألم، كل ما أردته هو أن أصل إليها قبل أن يصلها الخبر بطريقة أخرى، وحين رأيتها، لم أتمكن من الكلام، فقط سقطت بين يديها، كانت أغلى ما أملك، الله يرحمها، هي أسعفتني للمشفى بقيت هناك ثلاثة أيام ثم خرجت، إصابتي في صدري كانت خفيفة لكن برجلي كان هناك شظية دخلت من طرف وخرجت من الطرف الآخر.

بعدما خرجت من المعتقل، كانت هي أمان حياتي، أخرجتني من سوريا وأمنت علي في تركيا، وكأنها لم تكن تصدق أنني أصبحت خارج دائرة الخطر، بدأنا نتحدث معاً عن المستقبل، وكيف ستأتي لعندي وأنها تبيع أغراض البيت تمهيداً للمجيء لعندي، كنت أبحث عن بيت كبير وجميل لنعيش فيه سوية، أرسل لها صوراً، تقول: "هذا ممتاز"، وأنا أشاركها فرحتها.
لكن الحياة لم تمهلنا...

في الخامسة صباحاً، رن هاتفي، لم تكن مكالمة واتساب، بل اتصال من سوريا رفعت الهاتف، وعندما سمعت الصوت من الجهة الأخرى، انتهى كل شيء:5
"أمك ماتت... دخلت قذيفة إلى البيت... وماتت"
في تلك اللحظة، شعرت أن الحياة انتهت، أن الحياة ماتت معها، كانت هي الأمان، كانت هي كل شيء، كنت أعود إلى البيت دون سبب فقط لأناديها، لم أكن أحتاج منها شيئاً، فقط أردت سماع صوتها.
حياتي قبل الحرب كانت بسيطة ورغم الصعوبات إلا أنها لا تخلو من المرح، كان لدي أصدقاء، بعد العمل كنت أتعشى وأستريح قليلاً، ثم أخرج للقائهم، كنا نلعب في (الصياح، الكرة والكلال) كنت أحب تربية الحيوانات، فربّيت: طيور، أرانب، كلاب، وحتى غنم.

لكن عندما اندلعت الحرب عام 2011، وكنت في السابعة عشرة من عمري، تغيرت الحياة تماماً. فجأة، وجدت نفسي في عالم مليء بالحرب، حيث لا مستقبل ولا أهداف، ولا حتى شغل لتفكر فيه، توقف كل شيء، حلب دُمّرت، وفي النهاية فُرض عليها الحصار، لم يبقَ فيها عمل.

أصبحت الحياة مجرد صراع للبقاء، كنت أعيش لأجل لقمة الطعام فقط، دون أن أعرف إن كنت سأكمل حتى المساء أم لا.

مع الحرب، تجمدت الحياة، لم يعد هناك سوى الموت: هذا الشخص استُشهد، هناك سقطت قذيفة، وهناك يحتاجون من يساعد في دفن الضحايا، صارت أيامنا تدور حول الحفر لدفن الأموات، أو مساعدة من يحتاج يداً لرفع الأنقاض.

في ظل هذا الواقع القاسي، لم يكن لديّ خيار سوى العمل بأي شيء لأؤمن متطلبات الحياة لأهلي، كنت أنتظر أي فرصة، مثل تحميل البضائع من الشاحنات، أو مساعدة الناس في نقل أغراضهم، كان أصدقائي يخبرونني إذا احتاج أحدٌ لمساعدة، وكنت أذهب فوراً، لأن البقاء لم يعد خياراً سهلاً، بل معركة يومية مع الموت والجوع.

في ظل الحرب، لم يكن أمامي خيار سوى المساعدة في إسعاف الجرحى ودفن الشهداء، فهذا حيي وهذا يعني أني أعيش بين أهلي وأقاربي وجيراني وأصدقائي، فكان من المستحيل أن أقف متفرجاً، عندما كانت تسقط القذائف، لم يكن هناك وقت للتفكير، كنا نركض لإنقاذ من نجا، نحمل الجرحى، ونساعد في إخراج العالقين.

أما من استشهد، فكنا نحاول دفنه بأي طريقة، لم تعد هناك مقابر كافية، فبدأنا ندفن الشهداء في الحدائق التابعة للحي، لم يكن هذا أمراً طبيعياً، لكنه كان الحل الوحيد، لم يكن هناك مكان آخر، والنظام لم يكن يسمح بالدفن في المقابر، ومن كان يذهب إليها كان معرضاً للاعتقال أو حتى القتل.

هكذا أصبحنا نعيش: إسعاف هنا، دفن هناك، مساعدة عائلة فقدت منزلها، أو إخراج من بقي تحت الأنقاض، لم يعد الأمر مجرد مساعدة، بل صار واجباً لا يمكن التهرب منه، لأن كل من حولك هم أهلك، وكل مصاب أو شهيد هو جزء منك.

خلال الحرب، كنت مطلوباً للخدمة العسكرية ومتخلفاً عن الالتحاق بها، ما جعل بقائي في مناطق النظام أمراً بالغ الخطورة، لم أكن قادراً على التنقل بحرية، فالخطر كان يحيط بي في كل لحظة. في ذلك الوقت، اقترح ابن عم والدي خطة لتهريبي من مناطق النظام، حيث كان هناك شخص يملك هوية تشبه ملامحي، وافقت فوراً، فقد كنت أريد الخلاص من هذا الكابوس بأي ثمن.

رحلة الهروب كانت محفوفة بالموت، انطلقت من حلب عبر طريق خناصر، الطريق الوحيد الذي كان متاحاً آنذاك، مروراً بالراموسة، السفيرة، وصولاً إلى حمص وحماة، في هذا الطريق، مررنا عبر 82 حاجزاً للنظام، وكان السائق يدفع الرشاوى للجنود على كل حاجز لتسهيل مرورنا، كنا نتحرك ليلاً، وعند وصولنا إلى السعن قرابة الساعة 4:30 فجراً، توقفت قافلة السيارات عند حاجز أمني، حيث كان بانتظارنا أخطر أربعة حواجز تابعة للمخابرات الجوية.

عند أول حاجز، نجوت بأعجوبة، لكن عند الحاجز الثاني، أخذوا الهويات وبدأوا بمناداتنا بالاسم، عندما نادوا الاسم الموجود على الهوية المزورة التي كنت أحملها، سألتني أحد عناصر الحاجز:
"أنت فلان؟"
أجبته بثقة: "نعم".
نظر إلي ملياً وقال: "متأكد أنها هويتك؟"
أجبته بنفس التأكيد، لكنه لم يمهلني حتى أكمل كلامي، إذ هوى بسبطانة بندقيته على رأسي وعيني، وسرعان ما انقضّ علي باقي العناصر بضرب وحشي باستخدام الأكواع، الركلات، أعقاب البنادق، وأي شيء طالته أيديهم، جميع من كانوا في قافلة السيارات شهدوا ما حدث لي، لكن لم يكن بوسعهم فعل شيء.

دخلتُ إلى كتيبة مليئة بالشبيحة، حيث تعرضتُ لأبشع أنواع التعذيب ونزفتُ بشدة. حين وصلتُ إلى الضابط، وُجهت إليّ تهمة الانشقاق وحيازة هوية مزورة، ولم يُمهلني للدفاع عن نفسي، بل صفعني صفعة شعرتُ بألمها ثلاثة أيام في المنفردة.

جاءت سيارة الشرطة لنقلي إلى مخفر السعن تمهيداً لتسليمي للفرع السياسي، وكان هناك نقيب وشرطي من دير الزور، رغم عملهما في الأمن، إلا أنهما حاولا مساعدة المعتقلين بصمت. حذرني الشرطي الديري قائلاً: "يجب أن تصل أخبارك إلى أهلك قبل تصفيتك." لم أكن أملك هاتفاً يمكنني استخدامه، فناولته هاتفي الجديد مقابل إجراء مكالمة سريعة، وبالفعل، أخبرتُ أهلي بمكاني.

بعد ساعات، استمرت رحلة الرعب عبر عدة فروع أمنية، حتى وصلتُ إلى حمص مكبلاً بالسلاسل، حيث كانت أمي وأبي وأخي ينتظرونني. حين رأتني أمي مقيداً، اندفعت نحوي تبكي، وسألت أحد العناصر بحرقة: "ما الذي فعله ابني حتى يُكبل بهذا الشكل؟" لكنه لم يُبالِ، بل دفعها بقوة، ولم أنسَ وجهه أبداً.

بعد هجوم الثوار، فرّ بعض عناصر النظام إلى تركيا، وبدأتُ البحث عنهم، خصوصاً الشرطي الذي أوقفني عند حاجز السعن والجندي الذي ضرب أمي أمام عيني. لم يكن هدفي الانتقام فقط، بل إحساساً بالظلم لا يفارقني، كنت أريد مواجهتهم وإثبات أنني لم أنسَ.

في المعتقل، تنقلت بين عدة فروع، أتعرض لأبشع أنواع التعذيب: الصعق بالكهرباء، الشبح، الضرب بالسياط وأعقاب البنادق، حتى فقدت الأمل بالحياة. صرخت يوماً في وجه الضابط: "أنا المسؤول عن الثورة! اقتلني وخلصني!" فقد سلبوا مني كل شيء.

الموت كان يبدو راحة من الجحيم الذي نعيشه، حيث يُعاقب من يذكر اسم الله أو النبي، وكأن الإيمان جريمة. رأيت معتقلين يعودون من التحقيق بأجساد محطمة، وآخرين ينزفون حتى الموت، وكان أي تعاطف معهم يعرضك لنفس المصير.

تسعة أشهر في المعتقل كانت كعمر كامل، حيث لا فرق بين الليل والنهار، وكثيرون عُذبوا لمجرد الاشتباه. الجلادون لم يكونوا مجرد أدوات للقمع، بل وحوشاً يستمتعون بتعذيبنا، تغذيهم الكراهية وكأن لهم هدفاً جهنمياً.

ما جرى في سوريا لم يكن قمعاً عادياً، بل وحشية ممنهجة، خوفاً من مجرد فكرة الحرية. أن تطالب بحقك الطبيعي يعني أن تصبح مجرماً مستهدفاً بالموت أو التعذيب.

النظام لم يكن مجرد سلطة مستبدة، بل كابوساً زرع الرعب في العقول قبل القلوب. فكرة أن "الشرطي لما يفوت على الحارة كل الحارة تتجمد" تلخص كل شيء، فهذا ليس خوفاً من القانون، بل رعب من سلطة ترى كل مواطن عدواً محتملاً.

حين كسر الناس الصمت، واجهوا إجراماً يفوق التصور. لم يكن الصراع على إسقاط نظام فقط، بل كان معركة بين الحياة والموت، الكرامة والخضوع. وما عشته شاهد على أن الحرية ليست مجرد كلمة، بل ثمنها الدم والتضحيات.

بعد تسعة أشهر من الاعتقال، أُفرج عني بفضل محامية بارعة غيرت مسار قضيتي بتقرير طبي زعمت فيه أنني كنت متعاطياً لحظة اعتقالي. استندت إلى ذلك في المحكمة، فصدر حكم ببراءتي.

لحظة خروجي، كان أول ما خطر ببالي: "أين أمي؟" فقالت المحامية: "أكيد بالداخل، ربما أحضرت لك طعاما".
وعندما دخلت للفرع سمعت زغاريد، نظرت إليّ المحامية وقالت: "هذه أمك!" ركضت نحو الدرج، فرأيتها هناك... لحظة لا تُنسى.

بعد خروجي، قررت الذهاب إلى تركيا لأعوض أمي عن معاناتها، لكن القدر لم يمهلها... ماتت، وماتت معها روحي.

عندما سقط النظام، شعرت كأن سوريا تحررت من الكابوس الذي كان جاثماً عليها. أقسم بالله العظيم أنني في اللحظة التي سقط فيها هذا الطاغية، كنت مستعداً أن أعود إلى سوريا فوراً، لكن العودة دون أمي لم تعد تعني لي شيئاً. كنت أريد أن أعود من أجلها، لكنها لم تعد موجودة...

بعد خروجي من المعتقل، ذهبت إلى الشمال السوري، حيث أخوالي يعيشون، وهناك لحقت بي أمي، وبقيت معي لمدة شهر، بعد ذلك، أصبح كل منا في مكان مختلف، لكنها لم تتوقف عن التفكير بي والقلق علي، خلال تلك الفترة، عملت في تمديدات الكهرباء، سواء تركيب الأمبيرات أو إصلاح الأعطال الكهربائية، وكنت أعمل مع ابن عمي. لكن رغم الجهد المبذول، لم يكن هناك أي مردود كافٍ، ولم أستطع تسديد الديون أو حتى تأمين مصاريفي اليومية.

مع تدهور الأوضاع الاقتصادية، ندرة العمل، وشحّ المصروف، أصبح من المستحيل تأمين حياة كريمة لي ولأهلي، أو حتى البقاء في المكان الذي كنت أعيش فيه، عندها، بدأت أفكر في الخروج إلى تركيا، زاد من صعوبة وضعي أن فترة الاعتقال تركتني مثقلاً بالديون، حيث تراكمت عليّ مبالغ كبيرة خلال فترة سجني.

هنا مع هذه الأوضاع أصرت أمي كثيراً على خروجي إلى تركيا، وكانت تقول لي:
جرّب السفر لفترة، انظر كيف الأوضاع هناك، إن وجدت فرصة عمل، ابقَ هناك، أسس بيتاً، وسنجتمع جميعاً من جديد."

وبعد تفكير طويل، ومع حاجتي لتسديد ديوني، وإصرار أمي اتخذت قراري أخيراً، وخرجت متوجهًا إلى الحدود، وبمجرد وصولي، أخبرتها أنني أصبحت هناك، وعندما دخلت تركيا، شعرت وكأنها أخيراً تنفست الصعداء، وكأنها اطمأنت عليّ تماماً.

بدأت تسألني عن الأوضاع في تركيا، عن الطقس، عن اللغة، وكانت تقول لي:
"علّمني كلمات تركية حتى أتعلمها وأقولها عندما أزورك."

بعدما أنهي عملي، كنت أجلس وأتحدث معها، كانت تحب تعلّم كل شيء جديد، رغم أنها من الجيل القديم، إلا أنها اشترت هاتف سامسونج جالكسي، ونزلت عليه واتساب، ثم اتصلت بي بكل فخر قائلة:
"صار عندي واتساب، وما حدا قدّي!"
كانت ترسل لي الرسائل، وتسألني كيف تستخدمه، وأضحك عندما تخبرني:
"علّمني كيف أضغط هنا وكيف أرسل رسالة."
لم تكن محادثاتنا تخلو من المرح، وكانت متحمسة لمعرفة الكلمات التركية، وكأنها تستعد لليوم الذي ستأتي فيه إليّ وتقول بفخر:
"أنا أعرف التركية وأتحدث مثلك!"

لكن... لم يمهلها القدر طويلاً، بعد شهر ونصف فقط، ماتت.
رحلت، وتركتني مع كل هذه الذكريات...

خرجتُ باتجاه الحدود من حريتان متجهاً نحو خربة الجوز برفقة زوجة خالي وابنتها، التي كانت تنوي الزواج في تركيا، قالت لي: "إذا كنت تنوي السفر، فلنذهب معاً." فقررنا المغادرة سوياً.

لم أكن أحمل معي سوى بعض الملابس وبعض الأغراض البسيطة، لا أكثر، عند وصولنا إلى خربة الجوز، حاولنا العبور إلى تركيا، لكن في المحاولة الأولى تم القبض علينا، وأخذونا إلى الأمانات، ثم قاموا بإعادتنا إلى سوريا.

أما المحاولة الثانية، فكانت أسهل بكثير، لأنها جرت ليلاً، على عكس المحاولة الأولى التي كانت في وضح النهار.

عند دخولي إلى تركيا، انتابني شعور بالقلق والغرابة، وكأنني أتساءل في داخلي: "إلى أين أنا ذاهب؟ كيف ستكون الحياة هنا؟ كيف سأتفاهم مع الناس في هذا البلد؟"

توجهت إلى بيت جدي (أهل والدي) وأقمت عندهم لفترة، وبدأت العمل في مغسلة سيارات، لكن بعد أسبوعين أو ثلاثة، وجدت صعوبة كبيرة في التأقلم. لم أكن أفهم لغة الأتراك، وكان التواصل معهم صعباً، مما جعلني أشعر بالعزلة والضيق.

كنت أُخبر أمي، رحمها الله، عن معاناتي، وأقول لها: "الحياة هنا صعبة، لا أستطيع التفاهم مع الناس، أشعر أنني غريب تماماً." كنت معروفاً بشخصيتي العصبية، وأتضايق بسرعة من طريقة تعامل الناس وحديثهم، خصوصاً عندما كنت أعجز عن فهمهم.

في ذلك الوقت، قررت أن أبقى في تركيا ثلاثة أو أربعة أشهر فقط، أجمع خلالها بعض المال ثم أعود إلى الشمال السوري، حيث أشتري برميلين من المازوت وأبدأ عملاً هناك، بدلاً من العيش في بلد لا أستطيع التأقلم فيه. لكن أمي، رحمها الله، أصرت عليّ أن أبقى، قائلة: "ستتعود مع الوقت، لا تتعجل."

لم يمضِ شهران ونصف على وجودي في تركيا حتى جاءني الخبر الصادم: وفاة أمي. عندها، شعرت أنني ضائع تماماً—لا أريد البقاء في تركيا، ولا يمكنني العودة إلى سوريا، حيث لا يزال اسمي مطلوباً للنظام، وإذا قبضوا عليّ، فسأختفي إلى الأبد.

بعد وفاة أمي، شعرت أنني لم أعد أمتلك أي هدف واضح، فأخذت حقيبتي وسافرت إلى مدينة أخرى حيث يقيم بعض أصدقائي. بقيت هناك قرابة سنة، لكن فجأة، ومن دون سبب واضح، قررت الانتقال إلى مدينة أخرى عند أحد أصدقائي، وكأنني كنت أهرب بلا وجهة محددة.

صرت أعمل فقط لأنني مضطر للعمل، لكن في داخلي كنت أتساءل: "لماذا أعمل؟ لأجل ماذا؟ إلى أين سأذهب بعد ذلك؟" لقد أصابتني صدمة نفسية استمرت لثلاث سنوات—شعرت أنني غير طبيعي، فقدت الإحساس بالهدف، أمي ماتت، إخوتي صغار، أبي يعيش وحيدًا، وأنا لا أستطيع العودة إلى سوريا، فوضعي القانوني غير واضح: لا أنا مبرَّأ بالكامل، ولا أنا مدان رسمياً، فقط خرجت بإخلاء سبيل تحت المحاكمة.

بعد هذه الدوامة من التشتت، قررت العودة إلى عنتاب، حيث استقررت لفترة، ثم خَطَبْتُ وتزوجتُ، وبدأت أشعر أن حياتي أصبحت أكثر استقراراً، وكأنني أدرتُ دفة حياتي نحو شيء جديد.

هنا، في هذه الغربة، فعلت كل شيء وحدي، وأسست حياتي بمفردي، والآن، لدي ثلاثة أطفال: الأكبر عمره سبع سنوات، الأوسط ست سنوات، والأصغر ثلاث سنوات، مشاغبون جداً، لكن بمجرد أن أدخل البيت بكيس من الحلويات أو بعض الأكلات، ينسون كل شيء ويركضون نحوي، ويتركون أمهم التي كانوا يرهقونها طوال اليوم!

أكثر شيء كان صعب علي هو أنني عندما بدأت أعي هذه الحياة، وجدت نفسي في مواجهة واقع قاسٍ، كان يفترض أن يكون هذا وقتي، فرصتي، شبابي، المرحلة التي أبني فيها مستقبلي وأحقق أهدافي، لكن الحرب حطمت كل شيء، فجأة، وجدت نفسي كأنني رجل في السبعين أو الثمانين من عمره، انتهت رحلته في الحياة، جلس ليستريح بعد أن كبُر أولاده وزوّجهم ولم يعد لديه شيء يسعى إليه.

الحرب سرقت منا كل شيء، نحن جيل التسعينات عشنا هذه المأساة بكل تفاصيلها، لم يعد لدينا أهداف، لم يبقَ لدينا شيء نسعى لتحقيقه، كأننا خسرنا المعركة قبل أن نبدأها.

عندما أسترجع كل ما مررت به من صعوبات واعتقال ومآسي وفقدان—أقول في نفسي: هذا أمر الله وقد مرّ عليّ كما مرّ على غيري، لم أكن وحدي في هذه المحنة، آلاف غيري عاشوا نفس الظروف، بل ربما أسوأ. هناك من لم يؤذِ أحداً، لم يقتل، لم يشارك في دماء، لكنه دفع الثمن، تماماً مثلما كان النظام يرعب الناس دون سبب. وأقول في نفسي أيضاً بأني والحمد لله، قوياً ثابتاً، لا شيء يمكن أن يكسرني، كل ما مررت به زادني صلابة وإيماناً بأنني قادر على مواجهة أي شيء.

اليوم، أنا واحد من هؤلاء الذين اعتُقلوا، واحد من الذين جاؤوا إلى تركيا بحثاً عن الأمان بعد أن تحملوا الألم والصبر، لكن في النهاية، الحمد لله رب العالمين، انتصرنا، هذا أكثر ما يخفف عني، أن هذا النظام وهذه الطائفة التي ظلمت وسفكت الدماء سقطت.

انتصار الحق على الباطل هو ما يجعل كل ما مررنا به يبدو هيناً، لأنه في النهاية، نصرنا الله.

وصلت إلى الرابطة هنا، عن طريق الأستاذ التركي رياض أولر، حيث كنت أعمل في مغسلة بغازي مختار باشا، كان الأستاذ رياض قد مر بتجربة اعتقال في سوريا، وأثناء غسيل السيارة له، بدأنا الحديث معاً، أخبرني أنه كان معتقلاً في صيدنايا، فبادلت الحديث معه وأخبرته عن تجربتي في المعتقل أيضاً، أخذ رقمي وبدأ يتواصل معي من سوريا الأستاذ هاني، بعدها، بدأت أحضر للمركز.

الرابطة قدمت شيء مهم للعالم، حتى لو كان المبلغ بسيطاً، إلا أن تأثيرها كان كبيراً، كانت تعطي الناس إحساساً أنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك من يهتم ويسأل عنهم، سواء كانوا في المعتقل أو بعد خروجهم، كانوا يشعرون أن هناك من يساندهم ويدعمهم.

بالنسبة لي، عندما التقيت بالرابطة، شعرت بالفخر بما تقوم به، لأنها ترفع الرأس وتبين أنه اليوم هناك من يسأل عنك ويراعي وضعك، بينما في الماضي كنت في المعتقل ولا أحد يهتم. اليوم، الرابطة تسعى للوصول إلى الناس، تهتم بعائلاتهم وتساعدهم، وهذا الشعور يعني الكثير، لأنه يجعلك تحس أنك لست وحدك، وأن هناك من يركض ويسعى لمساعدتك.

الله يعطيكم العافية، فعلاً شيء رائع ومرتب.

بدأت أشعر بالتعافي وسيكتمل شعوري بالتعافي والشفاء عندما نعود لبلدنا وينتهي كل شيء وتعمر البيوت، هذا بحد ذاته بيكون شفاء، ونقطة مهمة ساعدتني على الشعور بالتعافي هي أن النظام سقط، وهذا بحد ذاته خطوة كبيرة للشفاء والتعافي.

الشعور بالحرية واستعادة الأمل بيكون له تأثير كبير على النفس، وخصوصاً بعد كل ما مررنا به.

أيضاً يتحقق الشعور بالتعافي عندما تتحقق العدالة، ولتحقيق العدالة يجب أن يُحاسب كل من انتهك حقوق الناس وارتكب الجرائم. العدالة تتحقق حينما ترى أن الشخص الذي ظلمك قد نال جزاءه، وعندما ترى أن الفساد قد انتهى. وأنه قد انتهت تلك الحقبة التي كانت فيها الأرواح تزهق دون أي سبب، فقط لأنك قلت كلمة أو عبرت عن رأيك، وعندما تعود إلى بلدك، تعود الحياة لطبيعتها رغم كل ما مررت به، تشعر أنك انتصرت حقاً.

أما عن المستقبل فآمل أن أعود إلى بلدي وأبني بيتي من الصفر، هناك، سأشعر أنني أبني مستقبلي الخاص، وليس مثل هنا حيث أعمل فقط لتغطية احتياجاتي اليومية مثل الإيجار والطعام.

في بلدي، عندما أفتح مكاناً أو أعمل على مشروع، سيكون لي قيمة شخصية، لأنني أعرف أنه لي ولعائلتي، أما هنا، فأنت تعمل بجد، تفتح مشروعاً وتتعب عليه، وفجأة يأتي صاحب المحل ويطلب منك الخروج، وأنت لا تستطيع الرد أو الدفاع عن مجهودك، وتجد نفسك بعد كل ذلك العمل أنك قد تعبت على شيء لا يمكنك الاستمرار فيه.

أود أن يعرف كل الناس أن سوريا كانت وما زالت من أفضل الدول في العالم، وبالتأكيد ستصبح أفضل في المستقبل بإذن الله. للأسف، بعض الناس وصفوا السوريين باللاجئين أو بالصور السلبية، وكنت تشعر بأنك عبء أو لا شيء فقط لأنك سوري، لكن مع انتصار سوريا، الحمد لله، الأمور بدأت تتغير، وستعود أفضل بكثير مما كانت عليه في الماضي.

في النهاية، أود أن أعبر عن امتناني العميق لهذه الرابطة التي قدمت الدعم للناس، رغم أن المساعدة قد تبدو بسيطة في بعض الأحيان، إلا أن الأهم هو أن الرابطة تحملت المسؤولية بكل صدق، وبحثت عن الناس، وفهمت مطالبهم، وعرفت ظروفهم في المعتقلات، ثم نقلت صوتهم إلى العالم، هذا هو الجوهر الحقيقي، أن تشعر أن هناك من يهتم بك، وأنك لست وحدك في معاناتك.

بالنسبة لي، لم أتمكن من الحصول على أي دعم من أي جهة أخرى سوى هذه الرابطة، سواء كان دعماً مادياً أو نفسياً، وهذا يعني لي الكثير.

شكراً جزيلاً لكم

رابطة معتقلي و مفقودي سجن صيدنايا
Association of Detainees & The Missing in Sednaya Prison